الواقع المعاصر وصناعة المستقبل

يظن الكثير منا أن حياته الدنيا هي فقط قنطرة للعبور للآخرة ، وأنه لا يعمل إلا الأعمال الصالحة (من صلاة وصيام ...) بينه وبين ربه حتى يدخل الجنة ،

وينسى الجميع أن الله ـ سبحانه وتعالى – أنعم علينا بنعمة الإسلام لنسعد به في الدارين معا الدنيا والآخرة ، نسعد في الدنيا بطاعتنا لله وباتباعنا لمنهجه ، ونسعد في الآخرة بأن ننال مثوبته وجنته ، هذا هو الفهم الصحيح للإسلام.

هل الدنيا كلها مذمومة ؟

وربما يظن البعض عندما يسمع مشايخنا يتكلمون عن ذم الدنيا أن كل ما في الدنيا ينبغي أن يترك وأن يهمل ولا نلتفت إليه ، لكن الحقيقة أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي فهم ما أوحي إليه من ربه فهما صحيحا شاملا بين لنا أننا في هذه الدنيا نسعى ونعمل ، والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما ذكرنا في الخطبة الماضية – أول ما وطئت أقدامه المدينة بدأ في حل مشاكلها ، وإدراك

الواقع والتخطيط للمستقبل ، هذا هو الفهم الكامل الشامل ، والنبي ـصلى الله عليه وسلمـ الذي كان يقوم في المحراب باكيا بين يدي الله هو الذي كان لا يكل ولا يمل في كل تحركاته في هذه الدنيا لينشر دعوة الله ويقيم العدل بين الناس ، هذا الرسول الكريم ـصلى الله عليه وسلمـ الذي عرف بأنه قام في الليل حتى تورمت قدماه والذي كان يعد العدة كلها لعمارة هذه الأرض وهداية الناس .

النظرة الصحيحة المتوازنة للأحداث حولنا :

في هذه الدنيا نرى الناس ينقسمون لعدة اتجاهات :

1- الاتجاه التنصلي :

الذي يتنصل من أي مسؤولية يريد أن يعيش فقط ، يعني حياة بالطول والعرض ، يأكل ويشرب ويبحث عن احتياجاته الشخصية ، ولا يريد شيئا آخر طالما أن حياته الشخصية مستقرة ، والأمور التي يحتاج إليها متوفرة ، فلا داعي أن أصدع رأسي بما يدور حولي .

2- الاتجاه الانعزالي:

الذي لا يرغب في الدنيا كلها بكل أشكالها، ينعزل عن الناس ويتملص من المسؤولية ، ولا يكلف نفسه تبعات ذلك ،ولا يريد أن يفهم شيئا مما يدور حوله فيبقى هكذا متقوقعا منعزلا بعيدا عن كل شيء .

3- الاتجاه التبريري:

دائما عنده تبرير لأي وضع يُطمأن به نفسه، يسمونه في علم النفس الحيل النفسية بمعنى أنه عندما يريد أن يفعل شيئا وفي نفس الوقت عنده كسل أوهمته ضعيفة يبرر لنفسه بما يطمئنها بهذا الموضوع ، فمثلا يبرر أنه ليس له علاقة بالواقع حوله فيقول : هناك عنصرية في التعامل مع المسلمين فطمأن نفسه بهذه المسألة ، يقول هنالك نسبة بطالة عالية في هذا البلد فطمأن نفسه بذلك ، في هذا البلد لا تستطيع أن تفعل كذا ....أو تذهب إلى كذا فدائما يريد أن يبقى كالماء الراكد لا يتحرك ، ويبرر لنفسه موقفه أو اتجاهه المبني على حيلة نفسية أو دفاعية حتى لا يتحرك من هذه النقطة إلى غيرها أو يفكر في تجديد أو تغيير أو ما شابه ذلك ، هذا الاتجاه موجود ، والكثير منا في هذا الواقع يرى أنه يبرر كل تصرف خاطئ بهذه الحيلة النفسية الدفاعية حتى يبقى على ما هو عليه .

4- الاتجاه التآمري:

الذي يرى أن من وراء كل حدثٍ وإن صغر أيادي خفية تحركه من وراء ستار، هناك مؤامرة ...إنهم يكرهون الإسلام ... يكرهون المسلمين ، حتى إذا اختفت سلعة يقول إنهم أخفوها من أجل المسلمين ، لو واحد مثلا جرى بينه وبينك موقف فيه تنازع أو اختلاف كسائر البشر يقول البلد هنا عنصري ، إذا رُفض في وظيفة أو شركة قال : البلد هنا يكره العرب ، وهكذا عنده مسألة المؤامرة مسيطرة على فكره، دائما يرى في كل تحرك أنه مرفوض ووراءه مؤامرة عليه .

5- الاتجاه الأخير الاتجاه الواقعي :

وهو الذي نتكلم عنه اليوم ، فهم الواقع وقراءته قراءة صحيحة هذا الذي كان يفعله رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ حينما تفهم الواقع وتدرك أبعاد كل شيء ثم تخطط لواقعك ومستقبلك أنت بذلك تقتدي برسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ

ما علاقة المسلمين بمعركة بين فارس والروم ؟

لو سألنا أنفسنا سؤالا لماذا نزل في القرآن المكي قوله تعالى : ـ(الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم)ـ [الروم1 /5]
ما علاقة الرجل بمكة بما يدور بين القوتين العظميين في هذا الوقت من معارك حربية وصراعات عسكرية ؟ غلبت الروم أو انهزمت ...أنا مالي؟

نحن في مكة مضطهدون معذبون ، لا نستطيع أن نقيم صلواتنا ...منا من يعذب ومنا من قتل ومنا من هاجر فرارا بدينه ما شأننا بمعركة ضخمة بين فارس والروم ، هذا في القرآن المكي أنزل الله هذه الآيات في وقت كان الإسلام فيه مضيقا عليه ، لا يستطيع المسلمون أن يقيموا صلاة جماعة علانية ، في هذا الوقت القرآن الكريم يقول : إن الروم هزمت من الفرس وأن هذه الهزيمة لن تدوم ، فإنهم سيغلبون الفرس مرة أخرى وهذا الأمر سيتحقق في بضع سنين

(البضع العدد من 9:3)

والجواب هو : إن القرآن يلفت الأنظار أنك كمسلم ينبغي أن تعرف الواقع حولك ماذا يدور فيه ؟ ما هي أخباره وأحواله ؟ وإذا كان هذا الأمر نتكلم عنه في واقع كانت الأخبار تأخذ شهرا حتى يعلمها الناس، الآن صار العالم كقرية صغيرة ما يحدث في الشرق يراه أهل الغرب والعكس بالعكس، يحدث حادث هنا أو هناك فينقل إليك بث مباشر فتراه على شاشات التلفزة المختلفة وكأنك جزء من الحدث ، إذن فهذا لفت للأنظار أنك كمسلم لا تكن مغيبا بعيدا عن واقع تحياه وتعيشه وتعرف جيدا أنك جزء لا ينفصل عنه.

الهجرة إلى الحبشة:

والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجه المستضعفين من صحابته بالهجرة إلى الحبشة، سنة ستة وسبعة من البعثة ، لماذا اختار الحبشة؟ لماذا لم يرسل الصحابة إلى فارس أو الروم أو مصر أو غيرها؟

يبين ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله: " إن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد "هذه أفضل ميزة لهذا الحاكم ملك عادل غير ظالم ، ولم تكن هذه الهجرة من باب الفرار والظلم في مكة وإلا لهاجر الجميع ، إنما أراد النبي أن يقيم رصيدا احتياطيا للمسلمين في هذا البلد حتى إذا وصلت مراحل الاضطهاد في مكة إلى القضاء على المسلمين أو قتلهم جميعا أن يكون هنالك قاعدة احتياطية للمسلمين خارج هذا البلد ، وعلم النبي أن مخالفة هؤلاء الصحب الكرام لحاكم

هذه الدولة في دينه لن يكون سببا لأن يظلمهم ، وتحقق ما قاله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكما نعلم أن هؤلاء الصحابة ما رجعوا سنة 1هـ بل رجعوا سنة 7هـ بعد أن استقرت أقدام الإسلام جيدا في الجزيرة العربية وتمكن الإسلام ، وقال النبي قولته الشهيرة لما عادت الجالية الإسلامية وعلى رأسها جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال : لا أدري بأيهما أفرح بقدوم جعفر أم بفتح خيبر ؟ !!

فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين:

مثال ثالث : في سنة 7هـ أراد الرسول أن يبلغ دعوة الإسلام للعالم أجمع فبعث بالرسائل لملوك العالم فكان من ضمن الرسائل رسالته إلى هرقل عظيم الروم وفيها " أما بعد أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين... " من هم (الأريسيين) ؟ الأريسيون هم أتباع فرقة من فرق النصارى كانوا يؤمنون بالتوحيد، وتعترف بعبودية المسيح له عز وجل، ولا تقول شيئا مما يقول النصارى في ربوبيته وتؤمن بنبوته، ويبشرون بالنبي الخاتم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأرسل إليه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذه الرسالة يخبره بأن عندك طائفة موحدة إن توليت ولم تقبل هذا الحق فإنما عليك إثم الأريسيين .

من أين علم النبي مسألة الأريسيين واضطهادهم ؟ هذا كله بلا شك مبني على قراءة صحيحة للواقع حوله.

وصية الرسول لمعاذعند ذهابه اليمن :

وعندما أرسل صلى الله عليه وسلم معاذا إلى اليمن قال له: " إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم " وهذا من إدراكه صلى الله عليه وسلم واقع كل بلد وما يحتاج إليه .

وهكذا قراءة الواقع قراءة صحيحة تؤدي إلى تخطيط وإعداد صحيح للمستقبل ، والنبي ـصلى الله عليه وسلمـ لما نقرأ القرآن المكي نزل عليه أن هذا القرآن ـ(إن هو إلا ذكرى للعالمين)ـ [الأنعام/90] وأنه ـصلى الله عليه وسلمـ رحمة للعالمين ـ(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)ـ [الأنبياء/107] نحن لا نتكلم عن مسلمين في هذا النطاق الضيق بمكة إنما عن العالم كله .

ومن استشراف النبي ـصلى الله عليه وسلمـ للمستقبل قوله لما رجع من رحلة الطائف وحدث له ماحدث فجاءه ملَك الجبال يستأمره أن يطبق عليهم الأخشبين (جبلين)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا» ومرت الأيام ويخرج من صلب الوليد بن المغيرة سيف الله المسلول خالد بن الوليد رضي الله عنه، ومن أبي جهل يخرج عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه ، وغيرهم من الصحابة

الذين أكرمهم الله بالإسلام .

و قال لسراقة بن مالك يوم الهجرة : كيف بك إذا لبست سِوَارَيْ كسرى ، فقال سراقة: كسرى بن هرمز؟ فقال رسول الله نعم

فلما أَتي عمر بسوَاريْ كسرى ، دعا سراقة بن مالك وأَلبسه إياهما . وقال له: ارفع يديك، وقل: اللّه أَكبر، الحمد للّه الذي سلبهما كسرى بن هرمز، الذي كان يقول: أَنا رب الناس، وأَلبسهما سراقةَ رجلًا أَعرابيًا، من بني مُدْلِج.

أيضا بعد غزوة الأحزاب قال :الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا ، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ . تبنى استراتيجية جديدة ، أفضل وسيلة للدفاع الهجوم .
وفيها أيضا بشر أصحابه قال البراء: لما كان يوم الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول، فاشتكينا ذلك لرسول صلى الله عليه وسلم، فجاء وأخذ المعول فقال: «بسم الله، ثم ضرب ضربة، وقال: الله كبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إنّي لأنظر إلى قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية فقطع آخر، فقال: الله أكبر، أعطيت فارس، والله إنّي لأبصر قصر المدائن الآن، ثم ضرب الثالثة فقال: بسم الله فقطع بقية الحجر، فقال: الله أكبر أعطيت مفاتح اليمن، والله إنّي لأبصر صنعاء من مكاني».

التخطيط للمستقبل :

إذن التخطيط للمستقبل كان موجودا عند النبي ـصلى الله عليه وسلمـ على

المستوى الشخصي وعلى مستوى الأمة .

أقول هذا لأن البعض يائس ينظر إلى الواقع بسواده وآلامه فيصيبه الإحباط واليأس ، لكن أنا كمسلم دائما أتعبد لله بأن أفهم الواقع من حولي وأتعامل معه وفق ما أستطيع وأخطط لمستقبل أفضل تنفرج فيه هذه الشدائد ؛ فلا ليل يدوم ولا نهار يدوم .

كلمة أخيرة عن الانتخابات بمقاطعة كيبيك:

والأسبوع القادم إن شاء الله (1أكتوبر 2018) عندنا انتخابات بمقاطعة كيبيك ، ومن خلال بعض الحوارات اكتشفت أن قطاعا عريضا ما زال مستسلما للاتجاه الانعزالي ، خلينا في حالنا ، مالنا ومال السياسة ، نحن جئنا نبحث عن لقمة العيش ، هذا اتجاه ، واتجاه آخر يحمل السلبية السياسية التي جئنا بها من بلادنا فيقول ماذا نفعل وماذا سنغير إن المسلمين لا يتحركون .... المسلمين جالية ضعيفة مغلوبة على أمرها ، وهذا تماما كالمريض الذي قالوا له أنت مصاب بمرض كذا فعليك أن تستعد للموت ، وهذا أمر عجيب !!!

فلندع نبرات اليأس والإحباط ولنعلم أننا لا بد وأن نكون جزءا من هذا الواقع ،نشارك في الحدث فنحن جزء من هذا البلد ، أنت مواطن كندي أو على الأخص كيبيكي ، لك كافة الحقوق وعليك كافة الواجبات ، ما الذي يمنعك أن تطالب بحقك القانوني وتمارسه باختيار النائب الذي ينوب عنك بالبرلمان مطبخ صناعة القوانين ، فتختار النائب الذي ترى فيه أنه أفضل المرشحين ، فإذا

احتجت شيئا وجدته بجانبك وكان صوتنا الذي يعبر عنا بالبرلمان .
إذا بقينا في مقاعد المتفرجين لن يلتفت إلينا أحد ، لا نريد أن نبقى جزءا معزولا؛ إنما نكون إيجابيين متواصلين مع المجتمع .
نبني مستقبلا أفضل لنا ولأبنائنا غدا ، مساهمتنا اليوم في صناعة هذا الحدث هو مساهمة في صنع مستقبل أفضل لأبنائنا.

اللهم ولِّ على عبادك من يصلح وتصلح به ، اللهم واجعل هذا البلد آمنا مطمئنا وأدم فيه نعمة الأمن والأمان والرخاء والاستقرار برحمتك يا أرحم الراحمين
...اللهم آمين